

التعليم الأصلي والهوية

تاريخ قبول المقال: 2018/06/23

تاريخ استلام المقال: 2017/11/22

أ. خديجة حالة - جامعة أحمد دراية أدرار، تخصص التاريخ الحديث

والمعاصر، Kaddojhala@yahoo.com

الملخص:

عرفت الجزائر بعد الاستقلال فراغا ثقافيا مهولاً خلفه رحيل الاستعمار؛ لكن الدولة الجزائرية الفتية إيماناً منها بدور التربية والتعليم التي تعد أساس كل تنمية، أولت الجانب التعليمي الاهتمام والرعاية، بإنشاء تعليم يتوافق مع المتطلبات الفكرية والحضارية للشعب الجزائري الذي ظل محروماً منه طيلة الفترة الاستعمارية، فأنشئ تعليم ذو طابع ديني موازٍ للتعليم العام؛ سمي بالتعليم الأصلي، وقد عرف هذا التعليم انقلاباً جذرياً مع تعيين "مولود قاسم نايت بلقاسم" على رأس وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية سنة 1971م، فأدخلت عليه إصلاحات جذرية من حيث البرامج والهيكل والأهداف، تميز بوضوح الرؤية وفق الأصالة والتفتح، وكان يسعى لرسم معالم هوية وطنية، بإعادة الاعتبار للغة العربية والثقافة الإسلامية بكل مكوناتها العفانية والحضارية.

الكلمات المفتاحية: التعليم الأصلي؛ الهوية؛ الجزائر؛ الدين الإسلامي؛ اللغة العربية؛ التخطيط اللغوي.

résumé:

Après l'indépendance l'Algérie a connu un énorme vide culturel de par le départ du colonialisme, mais l'Etat Algérien croyant fortement dans le rôle de l'éducation et son rôle indispensable dans le fondement de tout développement, a tenu une attention particulière au côté

éducatif, en établissant une éducation conformément aux exigences intellectuelles et civilisées du peuple algérien, dont il a été privé tout au long la période coloniale et ce par le biais de créer une éducation de nature religieuse parallèle à l'enseignement public, appelée l'éducation initiale. Cette éducation a connu un changement radical avec la Moloued Qasim Naite Belkacem à la tête du ministère de l'Education Initiale et des affaires religieuses en 1971. Cette nouvelle tendance a introduit des réformes radicales en termes de programmes, structures et objectifs, caractérisés par l'originalité et l'ouverture, en cherchant à tirer un repère d'identité nationale, en assurant la réhabilitation de la langue arabe et la culture islamique avec toutes ses composantes civiques et idéologiques.

Mots clés: *Éducation originale؛ Identité؛ Algérie؛ La religion islamique؛ Langue Arabe؛ Planification linguistique.*

المقدمة:

للعلم والتعلم والتعليم مكانة كبيرة لدى المجتمعات والأمم، وحظي في الدين الإسلامي بمكانة عظيمة، فأول آيات نزلت من القرآن الكريم: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾¹.

فيعد التعليم القاعدة الصلبة التي تبنى عليها الدول مشروعاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وتحقق من خلاله مستقبلها الذي تتطلع إليه، ومن خلال التعليم تتم معرفة مكونات الهوية الثقافية، بغرس القيم المعرفية والخلاقية، ويقاس معيار تقدم أو تخلف الشعوب والأمم بجودة التعليم وفعاليتها في تكوين شخصية إنسان فعال ذو كينونة وهوية، فالجزائر عشية الاستقلال كانت أمام تحديات لأوضاع خلفها الاستعمار الفرنسي، لذا كان عليها مواجهتها بتعليم نوعي يتماشى ومتطلبات العصر؛

¹ سورة العلق، الآية 1.

لكن ضيق الوقت واقتراب أول موسم دراسي في الجزائر المستقلة دفعها إلى الإبقاء على التركة التعليمية التي خلفها الاستعمار الفرنسي، التي لا تتوافق مع مبادئ قيام الثورة التحريرية المعلنة في بيان أول نوفمبر ولا في ميثاق طرابلس، في ظل هذه الظروف ظهر إلى الوجود تعليم ذو طابع ديني رسمي موازٍ للتعليم العام يسمح للجزائريين بدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي اللذين ظلوا طوال فترة زمنية محرومين منه، فسمي بالتعليم الأصلي.

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز مساهمة التعليم الأصلي في بناء الهوية الجزائرية، فتمحورت إشكاليه الدراسة كالآتي: ما مدى تعزيز التعليم الأصلي للهوية الجزائرية في الجانب الديني واللغوي؟ ولمعالجة هذه الإشكالية سنتبع الخطة الموضحة كالتالي:

أولاً: مفهوم التعليم الأصلي

ثانياً: مفهوم الهوية.

ثالثاً: إشكالية الهوية الدينية.

رابعاً: التخطيط اللغوي.

خاتمة.

أولاً: مفهوم التعليم الأصلي:

1- تعريف الأصالة

لغة: «الأصل أسفل كل شيء وجمعه أصول، ويقال إن النخل بأرضنا لأصيل، أي هو لا يزال ولا يفنى، ورجب أصيل له أصل، ثابت الرأي عاقل، وفلان أصيل الرأي وقد أصل رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأي والعقل»¹.

¹ محمد ابن منظور : لسان العرب، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1981، ص 89.

فالأصالة تعني في اللغة والثبات والتجذر والتعمق والشرف، وعكسها ما لا أصل له ولا قرار، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾¹

فالأصالة من مشتقات الأصول ويراد بها قاع الشيء أو الأساس الذي يقوم عليه الشيء أو جودة الرأي وأحكامه، وأدبياً فرادة أو ابتكار؛ أي ما يصدر عن ذاتيته يتميز عن غيره، ويعرف الزمخشري كلمة أصل قائلاً: « قعد في أصل الجبل، وأصل الحائط، وفلان لا أصل له ولا فصل؛ أي لا نسب له ولا لسان، وأصلت الشيء تأصيلاً. وإنه لأصيل الرأي، وأصيل العقل، وقد أصل أصالة. وإن النخيل بأرضنا لأصيل، أي هو بها لا يزال بقيا لا يفنى. وسمعت أعراب الطائف يقولون لفلان أصيلة؛ أي أرض تليدة يعيش بها، وجاءوا بأصيلتهم؛ أي بأجمعهم، وقد استأصلت هذه الشجرة نبتت وثبت أصلها، واستأصل الله عرفاتهم قطع دابرههم...»²

اصطلاحاً: إن التعريف الاصطلاحي ليس بعيداً عن اللغوي، فالأصالة في اللغة مأخوذة من الأصل والشيء الأصيل هو الثابت الذي له أساس وأحكام وأصل، فهو الشيء الثابت ذو الجذور المتأصلة المحكمة³، ومنه نقول أن أصالة التعليم هي التمسك بثوابته، وأصوله، التي بُني عليها ويستند إليها في كل حين.

¹ سورة ابراهيم: الآية 26.

² القاسم محمد بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة 01، الجزء 01، 1998، ص 29.

³ حورية تاغلايت، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفقه وأصوله، إشراف سعيد فكرة، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2008/2007، ص 22.

ونستنتج من تعريف الزمخشري أن الأصل و الأصالة هو السبق الذي أنتج الفرع، أو ما هو أصيل وليس منبثا، وليس صورة طبق الأصل لغيره، والأصل / الأصيل لا زمان ولا مكان له وهو موجود في كل شيء والمهم فيه هو الفريدة، وما ليس متطابقا للأول، تطلق كلمة الأصيل لعراقة معنى ما، أو تحققها الكامل، ومن صفاتها السداد والصواب والجودة¹.

2- مفهوم الأصالة عند مولود قاسم

لكي ندرك كنه التعليم الأصلي وأهدافه وغاياته التي سطرت له يجب أن نعود إلى مفهوم الأصالة عند "مولود قاسم نايت بلقاسم"² ، لأنه المفكر والمخطط والمهندس والمنفذ للتعليم الأصلي، فهي عنده مثل ذلك المثل القرآني العظيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾³. وهي الشجرة الطيبة التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ بكل ما يحمله هذا التاريخ من عقيدة، وشريعة، وحضارة، وأخلاق، وسلوكات، وإبداعات، وتقاليد، وعادات تلك القيم التي تجعل من المجتمع متميزا متكاملا منسجما متراسا لا تعصف به الرياح، ولا تذيبه التيارات، وتلك هي صفات المجتمع المسلم منذ فجر الدعوة،

¹ صالح بلعيد، في الهوية الوطنية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص121.

² ولد يوم 6 يناير 1927 في بلعالي أقبو ولاية بجاية، درس بالمدرسة القرآنية بمسقط رأسه، ثم سافر سنة 1946 لمواصلة الدراسة بجامعة الزيتونة وهناك انضم إلى مناصلي حزب الشعب الجزائري، وتدرج حتى أصبح عضو لجنة اتحادية حزب الشعب للطلبة الجزائريين في تونس (1947-1949)، ثم مناضل في جبهة التحرير في باريس من ديسمبر 1954 إلى ديسمبر 1956 إلى جانب الدراسة لإعداد الدكتوراه الدولة في الفلسفة في السربون قبل الإضراب في ماي 1956، بعد الاستقلال تقلد عدة وظائف منها: مدير الشؤون السياسية بوزارة الخارجية وزير مفوض سبتمبر 1964-أفريل 1966، وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية 1970-1977م، وزير لدى الرئاسة مكلفاً بالشؤون الدينية(1977-1979)، له عدة مؤلفات بالعربية والألمانية، توفي يوم 27 أوت 1992، ينظر: أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2016، ص14، 13.

³ سورة إبراهيم: الآية 24، 25.

وهي تلك القيم التي حافظت لشعبنا أصالته وشخصيته وعقيدته ولغته طوال العهد الاستعماري، وهي أصالة ليست منغلقة ولا جامدة ولا متحجرة بل هي أصالة تسير الزمن، وتؤمن بالتطور وتنزع إلى التجدد بل وتلد من ذاتها التجدد، إنها تلك الأصالة التي جعلت المأمون الخليفة العباسي ينشئ دار الحكمة ويسن التفرغ لترجمة علوم الأمم السالفة رغم وثيبتها واختلافها العميق في العقيدة؛ لأن العلم ملك للإنسانية جمعاء، والانتقال من الترجمة إلى الإنتاج والى الإبداع، فهي أصالة تنبذ النقوق والتعصب والجمود وأيضا تنبذ التفسخ والذوبان والانحلال فهي «أصالة لا تؤمن بغلاق الأبواب والنوافذ ولا بإزاحة السقوف»¹.

«إن الأصالة ليست الانغلاق والتجمد بل هي بقاء الإنسان هو، مع استفادته من احتكاكه بالغير ومسايرة الركب الإنساني فيما ينسجم مع عناصر ذاتيته ويتناغم مع مكونات شخصيته إذ يتميزه ذلك فقط يكون عنصرا يقدم مساهمة للفكر الإنساني والحضارة العالمية وبدونها لا يقيمها بشي بل يعيش على حسابها عالية يتقل الركب ولا يقدم الإنسانية قيد شبر»².

فأن أكون أصيلا يعني أولا أن أكون وفيًا لذاتي ولخصوصياتي لأقتدر على تعيين وتحديد هويتي المتفردة، ذلك أن كل ذاتٍ حَالَمًا تدخل في تجربة نَحَتْ أصالتها الفردية ستستعمل حتما آليات وقنوات جاهزة قبلياً، أي قبل حضورها على غرار الجهاز اللغوي والقيمي والأخلاقي والسياسي، المطلوب

¹ مولود قاسم، أصالتنا تعني لا إغلاق الأبواب والنوافذ ولا إزالة السقوف والرفوف، مجلة الأصالة، العدد 04، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، أكتوبر 1971، ص08.

² محمد الصغير بن لعلم، التعليم الأصلي والمؤسسات الدينية وترقيتهما، أعمال الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، الجزء 01، أيام 17، 18، 19، صفر 1426هـ / 27 و28 و29 مارس 2005م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2006، ص 184، 185.

إن مسك طرفي المعادلة الصعبة: نحت كيان ذاتي مستقل عن الجاهز والقبلي، دون قطع الصلة بالمجال الحيوي الذي تتحرك داخله كل ذات، ودون نسيان كوننا نشغل بأدوات وداخل قنوات سابقة ومهيمنة على وجودنا الفردي¹.

عرف العالم الإسلامي ظهور مصطلح التعليم الديني إلى جانب التعليم العام العصري في بداية فترة الاستعمار نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حين تم الفصل بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والعلوم البحتة، وبين علوم الشريعة واللغة العربية في مناهج كبريات الجامعات الإسلامية في القاهرة وفاس والقيروان، بعد أن كانت المناهج التعليمية في هذه الكليات مندمجة ومتعددة التخصصات، يدرس فيها إلى جانب علوم الشريعة واللغة العربية علوم الطب والفلك والفيزياء والطبيعات وغيرها، انطلاقاً من فلسفة النظرية التربوية الإسلامية القائمة على وحدة الهدف من باقي العلوم وهو معرفة الخالق وسياسة الكون بمنظور الاستخلاف².

وفي بداية القرن العشرين ظهر هذا المصطلح في الجامعات العريقة، وانعكس عملياً في البرامج والمناهج التي فُصل فيها عملياً بين تدريس علوم الشريعة (علوم القرآن، والحديث، والفقه، واللغة العربية، وعلم العقائد وغيرها)، والعلوم المدنية المتعلقة بتدبير شؤون الحياة المادية (كالطب والاقتصاد والفلك والحساب والكيمياء وغيرها)، كما أنشئت أنماط تعليم جديدة في شكل مدارس أجنبية فرنسية أو انجليزية أو إسبانية استقطبت أبناء الأعيان واعتمدت أحدث أساليب التدريس، واشتملت برامجها على المواد ذات العلاقة بسوق الشغل، بل

¹ مصطفى بن تمسك، أصول الهوية الحديثة وعلوها (مقاربة شارلز تايلور نموذجاً)، دار جداول للنشر والتوزيع والترجمة، لبنان، الطبعة 01، 2014، ص274.

² خالد الصمدي، عبد الرحمان حلي، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة 01، 2007، ص20.

حظي روادها بمنحٍ تشجيعية، وإمكان الالتحاق بالخارج لإتمام الدراسة، في مقابل ظهور تعليم وطني يركز على علوم الشريعة واللغة العربية ويحاول ما أمكن الرفع من مستوى الممانعة لدى المتعلمين دون أن يمتلك الإمكانيات نفسها المادية والعلمية والتربوية والآفاق نفسها¹.

وهكذا في التداول الاصطلاحي التربوي ما سمي إلى يومنا هذا بالتعليم الديني، وهو نوع من التعليم يركز على التكوين المتين في اللغة العربية وعلوم الشريعة، وله مؤسساته وجهازه الإداري والتربوي، ومناهجه التربوية، وهذا التعليم معروف ومنتشر في بقاع العالم بمسميات مختلفة كالتعليم الأصيل أو التعليم العتيق بالمغرب، أو التعليم الأهلي بدول الساحل والصحراء بإفريقية أو المدارس العربية الإسلامية بدول آسية، أو التعليم الشرعي في بعض دول الخليج، ويمارس من الناحية التنظيمية في تعليم نظامي رسمي تشرف عليه الدولة وتعليم غير نظامي تسييره الجمعيات والمنظمات الأهلية ويُموله المحسنون².

كان المغرب الأقصى أول من أسس التعليم الأصلي والشؤون الدينية واقتفت أثره مصر والكويت كرمز للعودة إلى النبع، وإحياء التراث الحقيقي وبناء الجديد الأرقى على أساس أصيل قوي، فالجزائر أسست وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية تعبيراً منها عن الدور الحقيقي الذي يجب أن تقوم به وعلى الاتجاه الثوري من أجل نهضة دينية حقيقة³.

¹ خالد الصمدي، عبد الرحمان حطلي: المرجع السابق، ص25.

² المرجع نفسه، ص26.

³ علاء الفاسي، نهضة التعليم الأصلي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 07، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1972م، ص89،90.

فهو تعليم موازٍ ذو صبغة إسلامية، أنشئ من قبل هذه الوزارة، مهمته التدريس باللغة العربية نفس برامج وزارة التعليم الابتدائي والثانوي مع التوسع في مواد اللغة العربية والدين الإسلامي، بالإضافة إلى المواد الحديثة واللغات الأجنبية كلغات وليس كلغة تدريس؛ لأن التعليم العام عقب الاستقلال واجه مشكلات ثقافية تربوية تخطيطية تحت تسيير سياسي للتدريس وهو تعريب الأقسام الدراسية من الابتدائي إلى الثانوي.

بعد مرور تسع سنوات على الاستقلال لازال التعليم العام يدور في فلك الصراع بين المؤيدين للتعليم باللغة الفرنسية والمعارضين له المطالبين بالتعليم باللغة العربية، واستمر هذا الوضع إلى غاية « جويلية 1970م، أين تم تقسيم وزارة التربية الوطنية إلى: قسمين هما: وزارة التعليم الابتدائي والثانوي سلمت قيادتها للسيد: "عبد الكريم بن محمود"، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي بقيادة: "محمد الصديق بن يحي"، وكانت وزارة التربية الوطنية تجمع صلاحياتها بين هاتين المؤسستين، وأعيد تشكيل وزارة الشؤون الدينية بمسمى آخر وصلاحيات وميزانية أكبر، وهي وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بقيادة مولود قاسم»¹، وعلية أصبحت المعاهد الإسلامية الموجودة قبل هذا التاريخ تحمل اسم معاهد التعليم الأصلي لها شهادتان معترف بهما رسميا مثل شهادات وزارة التربية الوطنية هما: "شهادة الأهلية" و"شهادة البكالوريا"، وغاية التعليم الأصلي العودة إلى منابع ومقاومة الفرنسة بما يحفظ الكيان ويحقق وجود المجتمع الجزائري.

¹ أمر رقم: 70-53 مؤرخ في 18 جمادى الأولى عام 1390 الموافق 21 يوليو (جويلية) 1970: "يتضمن تأسيس الحكومة"، الجريدة الرسمية، العدد 63، السنة السابعة، 906.

وفي ضوء هذا المفهوم للأصالة شرع مولود قاسم نايت بلقاسم في إعادة النظر في سياسة المعاهد الدينية التي كانت موجودة من قبل، والتي يعود الفضل في إنشائها "لأحمد توفيق المدني"، ثم بعده الوزير "العربي سعدون"¹ الذي حاول تطويرها وتوسيعها من حيث الكم، ويقول "مولود قاسم" في هذا الصدد: «ظل هذا التعليم محدودا من حيث العدد والإمكانيات، ومن حيث الآفاق والبرامج ومن حيث الصدى في البلاد حتى إن الأهلية غير موجودة والمعادلة غير موجودة فقلنا يجب أن تكون الأهلية رسمية ثم البكالوريا بمعادلة عالمية»².

إذ أن التعليم الأصلي كان فيه التعليم المتوسط بأربع سنوات والتعليم الثانوي بثلاث سنوات، ولولوج عالم هذا التعليم يشترط في الطالب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط وهي:

- أن يكون حاملا للشهادة الابتدائية أو مستواها على الأقل.
- أن يكون حافظا لستة أحزاب من القرآن الكريم على الأقل.
- أن لا يقل سنه عن 13 سنة وأن لا يزيد عن 16 سنة.
- أن يكون الطالب صحيح الجسم وخال من الأمراض المعدية ويثبت ذلك بشهادة طبية.

¹ ولد بسيدي إبراهيم دائرة الببيان يوم 07 ديسمبر 1923، تلقى تعليمه بمسقط رأسه وبزاوية سيدي عبد الرحمان الجلولي وبالزاوية الحلاوية، ثم انتقل إلى الزيتونة انخرط في حزب الشعب الجزائري، التحق بالثورة وانضم إلى طاقم إذاعة صوت الجزائر، شارك في تأسيس جريدة الشعب، عين وزيراً للأوقاف من سنة 1965 إلى 1970، توفي في 23 مارس 1992. ينظر: إسماعيل تاحي، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله ونظرته للهوية الجزائرية 1927-1992، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور جمعي خمري، جامعة منتوري - قسنطينة، 2006/2007، ص74.

² محمد الصغير بن لعالم، التعليم الأصلي والمؤسسات الدينية... المرجع السابق، ص 185.

- أن يشارك في امتحان يقرر موعده مدير المعهد في المدة مابين أول جويلية وأول سبتمبر من كل سنة¹.

« وقد اشترط مولود قاسم شرطين ليحمل حقيبة هذه الوزارة، الشرط الأول هو تغيير اسم الوزارة كما أسلفنا ذكر ذلك آنفا، والثاني: أن يكون التعليم هو الأساس؛ لأن التعليم هو الوسيلة الأولى في بناء الأمة فقال بومدين: ربما يعترض البعض فقال: وافقتي أنت وأنا سأجيب على المعترضين وما الفائدة من الشؤون الدينية بدون تعليم، فتم تسطير برنامجا كاملا متكاملا ومخططا واضحا، فالتعليم الأصلي بهذا المفهوم الجديد يعتمد برنامجا قويا وافيا وكافيا يتماشى مع مميزات الفرد الجزائري الثقافية والاجتماعية والخلقية، والغرض من ذلك هو أن يكون التعليم قلعة الإسلام الصافي النقي البعيد عن الانغلاق والتعصب والبعيد أيضا عن الانحلال والتفسخ»².

وأسند التدريس في مؤسسات التعليم الأصلي إلى أساتذة متخصصين من جامعة الأزهر متحصلين على شهادات ذات كفاءات عالية، وقد تمكن هؤلاء الأساتذة من أداء رسالتهم فحققوا نتائج أكثر من كل التوقعات التي كانت مسطرة، فنجاح تلامذة معاهد التعليم الأصلي في امتحان شهادة الأهلية الإسلامية أو البكالوريا، وارتفاع المستوى التعليمي التربوي الثقافي لمختلف الطلبة لهما دليل على مقدرة المعلمين الذين لا يملكون الشهادات المطلوبة فحسب؛ بل يتمتعون بتكوين تربوي متين أيضا، وهو ما سمح بعقد آمال كبرى

¹ أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية 266، معلومات عامة عن التعليم الديني، 2 ديسمبر 1967، ص 1-2.

² محمد الصغير بن لعالم، انطباعات من وحي الصداقة والعمل، أعمال الملتقى الوطني الأول "سؤال الهوية والابنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة"، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر - باتنة،

على مستقبل التعليم الديني في الجزائر غير أنه رغم هذه المظاهر المُطمئنة المرضية، لا يسعنا إلا أن نأسف لخلو هذه المعاهد التام من أساتذة جزائريين¹. واستهدف التعليم الأصلي الأصالة في خطابات الهوية نحو استعادة الماضي المجيد والعصر الذهبي، وارتبطت هذه الدعوة بمقاومة حاضر معاد لهذا الماضي، وقد عرف هذا الحاضر في أدبيات الهوية بالمعاصرة، حيث شهد الفكر العربي والإصلاحي منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حضوراً لهذه الثنائية المفهومية المتصارعة، وأعني بذلك الأصالة والمعاصرة، ويمكن أن تلخص إشكالياتها على النحو التالي: كيف يمكن التوفيق بين قيم الأصالة الموروثة ومتطلبات المعاصرة؟ وبعبارة أخرى: كيف يمكن أن نكون متأصلين لا أصوليين في فضاءاتنا الدينية والتاريخية والثقافية دون أن ينقطع حبل اتصالنا بالحضارات الأخرى ولا سيما الغربية منها؟²

والواقع أن الجدل حول قضيتي الأصالة والمعاصرة كان قد أفرز أطروحات ثلاثة: الأولى مدافعة عن الأصالة دون سواها، والثانية عن المعاصرة دون سواها، أما الثالثة فتبحث عن سبل التوفيق بينهما.

اقتترنت الأصالة في الوعي العربي بالرغبة والحنين إلى استعادة العصر الذهبي للأمة العربية الإسلامية في أعقاب محاولات الاستعمار الغربي مسخ هويتها، فكانت إذن بمثابة أداة مقاومة وتعبئة تصدت بقوة للنزعة الاحتوائية الاستعمارية، حيث كانت إيديولوجيا الأصالة تعمل باستمرار من خلال رصيدها السردى الهائل على التذكير بأجداد السلف الصالح في المقاومة والإيمان والجهاد الذي فضله انتشر الإسلام في أرجاء المعمورة، مثلت القوة التعبوية

¹ أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية 255A، تقرير عن أسباب إنشاء المعاهد الإسلامية، ص 1.

² مصطفى بن تسمك، المرجع السابق، ص 271.

أداة فعالة في مقاومة الاستعمار الغربي، لكن بمجرد نهاية مقتضيات المرحلة الجهادية، أي انزياح الاستعمار المباشر، اكتست فكرة الأصالة طابعا أصوليا، بعدما اتسعت دائرة العداء لتمتد إلى كل من يمثل ويرمز إلى ثقافة ومصالح هذا الآخر الذي لم يتخل بدوره عن نزعته الاحتوائية والاستقطابية، فالأصالة المعنية هي تلك التي تتاصر فرادة الذات وقدرتها الإختلافية وليست تلك التي تكرر تبعتها لإيديولوجية ماضوية بائدة، لهذا تتدرج إتيقا(أخلاق) الأصالة صلب التفكير الحداثي بامتياز، الأصالة إذن إبداع وبناء واستكشاف للهوية الفردية، وهذا هو معنى الوفاء للذات، وفي الوقت ذاته انفتاح على الأفاق الدلالية؛ أي ولاء مُتروٍّ للجماعة الحاضنة¹.

وإيماناً بأن الاهتمام بنوعية التعليم يُمكن من تعزيز الهوية الوطنية الجزائرية، بإعادة ربط جسور الماضي بالحاضر للجزائريين بالتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وربطهم بمحيطهم الاجتماعي والثقافي، والوقوف عند المعينات التي تبعدهم عن أصالتهم بإعادة تعزيز الموروث الثقافي الاجتماعي الجزائري بتعليمهم تعليماً موازياً لهم حرية الاختيار لدراسته، فتنوع النظم التعليمية يخلق تنوع ثقافي فكري، يمشي في طريق متوازي وليس تقاطعات تضادية بين التعليم العام والتعليم والأصلي، فأضحت التوجهات السياسية للجزائر تلقي بظلالها على الفلسفات الكامنة وراء ذلك التنوع والسعي لإفراغه من محتواه الهوياتي.

ثانياً: مفهوم الهوية

يرجع أصل الهوية في اللغة إلى الضمير الهؤ: هو بضم الهاء في كل، وهو لفظ مركب من هو هو، جعل اسماً معرفاً باللام ومعناه الاتحاد

¹ المرجع نفسه، ص273.

بالذات، وجاء التعريف اللغوي للهوية بفتح الهاء على أنها «البئر بعيدة القعر»، أما الهوية بضم الهاء فعُرِّفت على أنها «باطن الشخص الدال على حقيقته واتجاهه»، فهي «حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره»¹. وبذلك فالهوية لغة هي جوهر ولب الشخص أو الشيء الدال عليه.

وتستعمل كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية في الأدبيات المعاصرة، لأداء معنى الكلمة الفرنسية (*identité*) التي تعبر عن خاصية المطابقة؛ أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمتله، فالهوية هي الحقيقة المطلقة للشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية، التي تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات أي خلوها من التثنت، كما نظر إليها البعض من هذه الزاوية على أنها: «مقولة تعبر عن تساوي وتمائل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته، أو تساوي موضوعات عديدة مع بعضها، فالموضوعان "أ" و"ب" يكونان متطابقين من حيث الهوية إذاً فقط، إذا كانت كل الصفات والعلاقات التي تميز "أ" مميزة للموضوع "ب" والعكس بالعكس»².

والهوية مصطلح في أصله غير عربي وإنما اضطر إليه بعض المترجمين فاشتق من حرف الرباط؛ أعني الذي يدل عن العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف "هو"، وللهوية عند القدماء عدة معان وهي: التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قالوا: «ما به الشيء هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتاً، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا المعنى يسمى ماهية»، وبالتالي يمكن القول عن المفهوم اللغوي للهوية

¹ شراد محمد العلمي، النظام التعليمي وثوابت الهوية الوطنية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم اجتماع التربية، إشراف الجمعي نوي، جامعة سطيف2، 2014/2015، ص16.

² شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص14.

أنه يعني المماثلة والتجانس والتطابق والوحدة، والحقيقة أن المفهوم اللغوي للمصطلح لا يعبر سوى عن البعد النفسي للشيء المعرف¹.

فالجرجاني عرفه بقوله: «الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، وهي الهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط شيء»²، وقد ميز الجرجاني بين الماهية والحقيقة والهوية والذات حيث يقول: «الأمر المتعلق من مقول في جواب ما يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث ما هو امتياز عن الأعيان يسمى هوية ومن حيث حمل اللوازم له يسمى ذاتاً، ومن حيث ما يستتبط من الألفاظ مدلوله، ومن حيث أنه محل للحوادث جوهر».

كما عرفها "محمد شرقي": «حقيقة الشيء المطلقة المتضمنة لصفاته الجوهرية»، وبذلك فالهوية هي الطابع المميز لخصوصية وتفرد الأشياء والأشخاص عن بعضهم بعضاً، والهوية هي الركيزة بالمعنى الثقافي وهي الحمى بالمعنى السياسي، وهي الذات عندما تحيل إلى ذاتها، وهي نقيض الآخر تسمو عليه أو يسموا عليها، وهي الجوهر والتعالى والرمز، وهي المعيار الضابط لكل ممارسة وهي أيضاً تشير إلى المشابهة والمماثلة في كل شيء جوهري³.

فالهوية تمثل عصارة تجربة وجودنا في العالم، وهي تجربة نراها تتكرر في كل عملية خلق جديدة وفي كل مظاهر الصراع والنفوذ والقوة والموت

¹ شريف رضا: المرجع السابق، ص 15.

² علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة- مصر، 2004، ص 216.

³ شراد محمد العلمي: المرجع السابق، ص 17.

والحرية والاستعباد، فدلالاتها اللغوية المباشرة تحيلنا إلى تلك الرغبة الحميمة لكل كائن في أن يكون متطابقاً مع كينونته، وبلغة الهوية أن يكون هو - هو لأن ذلك هو بالتحديد الشرط الرئيس الذي يؤهله للاختلاف مع الغير¹، فما ماهية الهوية؟

يطلق مفهوم الهوية على نسق المعايير التي يعرف بها الفرد ويُعرّف، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة، ويعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة، ولاسيما في مجال العلوم الإنسانية، ذات الطابع الاجتماعي، ويعد بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلاً في عمق حياتنا الثقافية، والاجتماعية اليومية وأكثرها شيوعاً واستخداماً، وعلى الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها مفهوم الهوية، فإنه وعلى خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد والمشكلة وذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته².

فالهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة وإلى الأبد، إنها حقيقة تنمو وتتكون وتتغير وتشيع وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب، وإذا كانت الهوية حقيقة تنمو وتتكامل وتنضج، إذا كانت حقيقة وجودية تنطوي على عوامل وجودها وبذور نمائها فإنها، وذلك منطبقاً على الأشياء، تنطوي على بذور فنائها وانشطاراتها، حيث تتعرض وبفعل عوامل متعددة تربية واجتماعية وثقافية للتشويه والانكسار³.

¹ مصطفى بن تمسك: المرجع السابق، ص 11.

² أليكسيس ميكشيللي: الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط1، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق - سوريا، 1993، ص

7.

³ المرجع نفسه، ص 8.

ثالثاً: إشكالية الهوية الدينية

إن أهم ما يمكن رصدّه في الحراك الثقافي للجزائر عقب الاستقلال، توظيف الإسلام دائماً بهدف خلق إجماع وطني وشعبي، حول خيار الجزائر الاشتراكي، وسُجّل في هذا السياق حشد وتعبئة الرموز والمؤسسات والشخصيات الدينية لتحقيق الالتفاف اللازم حول مشروع تنمية البلاد في ظل الأنموذج الاشتراكي، إن الإسلام نُظر إليه في هذا الصدد كعامل منوط بعهدة الدولة حراسته، لذلك فإن إلحاقه بأجهزتها كان خياراً أساسياً¹ يضمن السير الحسن للبلاد، وهكذا أصبحت الدولة مسؤولة عن الإسلام، فعملت على تكوين رجال دين رسميين في المعاهد المعدة لهذا الغرض، وبسطت سلطتها على الزوايا والجمعيات والمدارس التي كانت نشطة خلال الاستعمار الفرنسي، وأصبح عليها الانضواء تحت لواء وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية والانتظام ضمن قوانينها، بمعنى توحيد قراءاتها الخاصة للأمور الدينية تعليماً وممارسةً، بما يضمن نشر وتعميم الاختيارات الكبرى للبلاد، مما أعطى للجزائر هوية إسلامية موحدة ظاهرياً، وإن كان هناك نوعاً من الجفاء بين مؤسسات التعليم الحرة والمؤسسات الرسمية، لأن هذه الأخيرة أضحت تنافسها في سلطتها ومكانتها الروحية داخل المجتمع، فما هي السمات التي أعطاها التعليم الأصلي لهوية الجزائر الدينية؟

إن الاشتراكية التي انتهجتها الجزائر، قريبة من الماركسية؛ لكنها لا تعتمد على المادية في مقوماتها النظرية، وإنما هي اشتراكية تتبع من الوطنية ومن المبادئ الإسلامية، كما أنها تتبع من واقع وتاريخ الشخصية الجزائرية

¹ الطاهر سعود، الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 2012، ص362-363.

الإسلامية العربية، فقد جاء في الميثاق الوطني سنة 1976م¹: « إن الاشتراكية في الجزائر لا تصدر عن أية فلسفة مادية، ولا ترتبط بأي مفهوم متحجر غريب عن عقيرتنا الوطنية، وإن بناء الاشتراكية يتمشى مع ازدهار القيم الإسلامية التي تشكل أحد العناصر الأساسية المكونة لشخصية الشعب الجزائري»، ومما ورد فيه كذلك: « إن الاشتراكية ليست ديناً، وإنما هي سلاح نظري واستراتيجي يأخذ بعين الاعتبار واقع كل شعب، ويستلزم رفض كل تعصب مذهبي أو تزمت فكري».

فالخطاب الرسمي السياسي برر إقامة النظام الاشتراكي بازدهار القيم الإسلامية؛ لأن الإسلام يدعو إلى العدالة الاجتماعية والتعاون بين أفراد المجتمع، ووضع حدوداً للملكية الفردية، ولم يسمح بها إلا في إطار وظائف اجتماعية، كما أن الإسلام حرم بعض العمليات المالية التي تهدف إلى تركيز الثروات في يد قلة من الناس كالربا، وفرض أخرى تهدف لتمويل بيت المال مما سمح لها بالقيام بوظائفها الاجتماعية كالزكاة مثلاً².

فالإسلام دائماً دين الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية، ولا يمكن لمن تشبع بالإسلام روحاً ومعنى؛ إلا أن يكون من أنصار تحقيق هذه العدالة، وبالتالي من مؤازري الاشتراكية التي طالما حرصت أن تكون نظاماً اقتصادياً واجتماعياً يراعي القيم الروحية للإسلام، مادامت منسجمة مع مبادئه الأساسية، وهنا نرى المثقف الرسمي الذي حاول إضفاء الشرعية الدينية على الخيار الإيديولوجي وبالتالي مسايرة الطرح الرسمي في تعايش

¹ جبهة التحرير الوطني، ميثاق الجزائر 1976م، ص29.

² صبرينة بودريوع، الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي بالجزائر المرحلة البومدينية نموذجاً (1965-1978م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري- قسنطينة، 2010-2011، ص83.

الاشتراكية والإسلام¹، فبومدين كان يرى الاشتراكية عملية تخطيط شامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعيدة عن الديماغوجية والطوباوية، ويراها داخل المجتمع الجزائري عقيدة عمل، وتطويع خلاقاً لظروف الجزائر العربية والإفريقية المسلمة، دون تعصب أو عنصرية².

لقد حاول النظام الحاكم بهذه المسلكية خلق توافق وانسجام بين مشروعه الاجتماعي ذي الطبيعة الشعبوية ومتطلبات استرجاع الهوية الوطنية، التي اعتبر الإسلام أحد مكوناتها الأساسية، لذلك لا غرابة أن نلاحظ من جهة تشديداً على الانتماء الإسلامي للجزائر، ومن جهة ثانية نحو تكريس الخيار الاشتراكي في المجال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي³.

إن تتبع هذا المسار عبر ثنائية المبدأ النظري-التطبيق الميداني، يكشف لنا بوضوح الازدواجية التي كانت تطبع توجهات السلطة نحو الشأن الديني، إذ بالرجوع إلى النصوص النظرية المرجعية المنتجة في حكم الرئيس بومدين (ميثاق ودستور 1976) نكتشف ذلك الاحتفال والتأكيد على محورية البعد الديني الإسلامي كمكون تتعرف به الشخصية الوطنية الجزائرية؛ فالشعب مثلما نص عليه الميثاق شعب مسلم والإسلام هو دين الدولة، وهو أحد المقومات الأساسية للشخصية التاريخية للجزائر؛ إلا أن الممارسة والتطبيق الميداني يبرز لنا نوعاً من الانتقائية والتوظيف الخاص للدين الإسلامي فيما يتوافق مع نظرة السلطة واختياراتها، فميز أحد الباحثين من زاوية تحليلية: « بين تثنمين النظام البومديني للمعطى الديني الإسلامي في بعده الثقافي الهوياتي، وإهماله في بعده

¹ إسماعيل تاحي، المرجع السابق، ص 139.

² صبرينة بودريوع، المرجع السابق، ص 85.

³ الطاهر سعود، المرجع السابق، ص 364.

الطقوسي العبادي؛ فالنظرة إلى الدين الإسلامي في هذه المرحلة اتجهت إلى محاولة مزاجته بالاشتراكية، حيث تم النظر إليه كمرجعية ثقافية للأمة الجزائرية؛ لأنه شكّل في لحظة تاريخية مخصوصة وهي اللحظة الاستعمارية، عقيدة وثقافة مغايرة لتلك الإيديولوجية الاستعمارية، وهذا أهله لكي يُنظر إليه بعد الاستقلال كقاعدة لتحقيق الوحدة، ومحاربة أي تعددية أو انتماء إثني في نطاق المجتمع الجزائري»¹.

على هذا الأساس اتجه خطاب السلطة إلى تركية البعد الثقافي الحضاري والهوياتي للإسلام، أما النظر إليه كنظام عبادي طقوسي ونسق قيمي معياري، فقد كان أقل اعتباراً؛ حيث تراجعت مظاهر التدين في هذه المرحلة، وبرزت إلى السطح عديد الظواهر المنافية لروح الإسلام، ناهيك عن تكريس تهميش الإسلام في مرجعية الدولة السياسية والاقتصادية، وعدم الاعتقاد في فعاليته وجدواه كنظام سياسي واقتصادي².

حقيقة لقد سارت بعض المبادرات اللاحقة في اتجاه استدراك على البعد القيمي المعياري للدين الإسلامي وإحداث ما يسميه "جيل كيبل" وبعض الكتاب الغربيين بالأسلمة من فوق، حيث عمدت السلطة إلى تدشين جملة من الإجراءات، كالحملة على انحطاط الأخلاق في صيف وخريف سنة 1970م، واستبدال عطلة نهاية الأسبوع بيوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد، وإلغاء المدارس الأوربية ذات التوجه التبشيري، واقتلاع العرائش والكروم الموجهة لصناعة الخمر، ومنع تربية الخنازير عبر كامل التراب الوطني، ورعاية عمليات بناء المساجد وأماكن الصلاة وغيرها، لكن الإطار العام الذي كان يحكمها هو إطار

¹ المرجع نفسه، ص364-365.

² المرجع نفسه، ص365.

التنازل الشكلي وتحسين المظهر، وامتصاص الغضب الشعبي، والظهور بمظهر المؤتمن على الدين والحافظ له، وبالتالي قطع الطريق أمام الحركة الاجتماعية الإسلامية التي بدأت حينها تتبلور متخذة مثل هذه الموضوعات أرضية للتعبئة وأساسا للنشاط والاحتجاج¹.

إن نشأة التعليم الأصلي كان في وقت حرج، حيث كان المجتمع الجزائري يعاني انحلالاً أخلاقياً فتحت ضغط النخب الإسلامية التقليدية من الشيوخ والتلاميذ المتبقين من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والحديثة أمثال الشباب الجامعي المتشبع بالفكرة الإسلامية معاً، لمحاربة هذه السلوكيات المتنافية مع الإسلام، لذلك تم تقديم هذا التعليم باسم التعليم الديني الوحيد الذي أقرته الدولة واعترفت به، ووسعت من دائرة انتشاره التعليمي الوظيفي والتوظيفي داخل الأوساط الشعبية.

فالتعليم الأصلي قدم الدين الإسلامي على غيره من باقي المقومات الهوية الجزائرية، فهو يأتي في المرتبة الأولى ضمن العناصر المشكلة للإنية، كونه السياق الروحي الذي استرسلت عبره المسيرة التاريخية لسكان بلاد المغرب، لذلك ظل محوراً رئيسياً مركزياً نظراً للأهمية القصوى التي نهض بها الدين في التحول إلى الأفضل بشخصية أهالي البلاد المغاربية على مدار قرون، ولم يُنظر للدين الإسلامي على أنه عامل من عوامل صقل الشخصية وتشكيل الكيان التاريخي للأمة الجزائرية فحسب، بل نُظر إليه باعتباره المعين الذي ظل يمثل فاعلية التجدد الروحي للمقاومة والإصرار على تحقيق البقاء والرقي، لذلك أكد "مولود قاسم نايت بلقاسم" على غرس الروح الإسلامية خاصة لدى فئة الشباب بمختلف الوسائل، مستدلاً دائماً بقول الفيلسوف الألماني

¹ المرجع نفسه، ص366.

فيخته¹: «إن تربية الشعب على التماسك بالدين والأخلاق هي أساس كل حكومة، وعلى الحكومة أن تؤسس معهداً دائماً لهذه التربية الدينية، وهذا المعهد جزء لا يتجزأ من مؤسسات كل دولة حكيمة طيلة دوامها»².

واستهدفت الهوية الإسلامية في التعليم الأصلي تكوين متخصصين في المجال المعرفي الإسلامي مع تغذية الشعور الديني للطلبة بغاية تكوينهم للمعرفة والممارسة الهوياتية الإسلامية، فالخطاب الديني الموجه لطلبة التعليم الأصلي كان يجمع العقيدة الإسلامية وفقه العبادات والمعاملات والأخلاق بما يتماشى وروح العصر، فتم ربط العملية التدريسية للإسلام بأساتذة مشاركة؛ لكن بضوابط محكمة تفادياً للاختلاف المذهبي بين الحنفي والشافعي والجنبي، والمالكي المذهب المنتشر في الجزائر، هذا التعليم الخاص المتميز بتكوين مؤسسة جزائرية فقهية على غرار الزيتونة والقرويين.

وبما أن التعليم الأصلي يسعى لتكوين مؤسسة جزائرية إسلامية متخصصة، فالموضوعات التي تضمنها في المواد الشرعية، ذات محتوى ديني كان متواجد في المؤسسات التقليدية على غرار القرويين والأزهر، لأن أهدافهم واحدة وهي تكوين طلبة متمكنين في العلوم الشرعية والعلوم العربية بالدرجة الأولى ثم تأتي العلوم الحديثة في الدرجة الثانية، فتصنيف المواد كان يشمل كل أنواع المعرفة الإسلامية من حفظ القرآن وتجويد، وتفسير والحديث والمصطلح والفقه والفرائض والسيرة وغيرها، فبهذا التقسيم تُبنى المعرفة الأساسية الإسلامية، وليس كما كانت في وزارة التربية الوطنية تحت مسمى

¹ إسماعيل تاحي، المرجع السابق، ص137.

² مولود قاسم نايت بلقاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، العدد 17-18 خاص بالتعريب، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973-1974، ص50.

التربية الخلقية والدينية التي تم تسطير برنامجها وفق طرق واقعية تتلاءم مع الأخلاق الإسلامية، لكنها مقتضبة لا تلبى حاجيات المجتمع ففي المرحلة المتوسطة لوزارة التربية الوطنية يدرس التلميذ من الناحية الدينية: أركان الإسلام، والطهارة الصغرى، صلاة الجمعة والعيدين، وصلاة الجنازة، الكتب السماوية، الصيام، الزكاة، الحج، الطهارة الكبرى، التيمم، الإسلام عقيدة ونظام اجتماعي، محمد نموذج السلوك الأفضل، فخلال أربعة سنوات يتعلم التلميذ هذا فقط.

لذا جاء الخطاب الديني للتعليم الأصلي لتجديد الهوية الإسلامية، فشرط دخول معاهد التعليم الأصلي كما ذكرنا سالفاً حفظ ستة أحزاب من القرآن الكريم انطلاقاً من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس، هذه للمراجعة، أما المُطالب به في نهاية مرحلة الإعدادية فهو إتقان تسعة أحزاب بمعدل حزب كل سنة أما السنة الرابعة فيتم توجيه الطالب إلى آيات متفرقة ويعنى فيها بالشرح الإجمالي للآيات الكريمة حسب المستوى الفكري للطلبة، مع لفت نظرهم لمقاصد الشرع في الآيات الكريمة¹.

أما المستوى الثانوي فكانت آيات طويلة من سور مختلفة ولم يكن الهدف هذه المرة الحفظ بقدر ما كان التركيز على المقاصد الشرعية للآيات وتدريب الطلبة على استخراجها بأنفسهم، وهنا نلمس الحرص على ضرورة الحفظ الجماعي، خاصة للطلبة الداخليين لما في هذه الطريقة من إيجابية للتذكير وتعلم الطالب من زميله مع إمكانية تصويب أخطاء بعضهم البعض بإشراف أستاذ واحد فقط من المدرسين.

¹ أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية A 120، المنهاج الدراسي للمرحلة الإعدادية للمواد الشرعية، 1971/1972م،

ولم يكن هذا الخطاب يستهدف الحفظ دون العناية بالتجويد والقراءة السليمة، فلم تكن أقل أهمية منه، فعلى الطالب التمكن من روايتي ورش وقالون، بالاعتماد على كتابي تحفة الأطفال ومثن الجزرية تدريجياً.

أما في مجال المعاملات فحظيت الأحوال الشخصية بنصيب كبير من الاهتمام لأن الأسرة الجزائرية كانت تعاني جهلاً فقهياً في معاملاتها اليومية الخاصة أو العامة، كالزواج والطلاق، وحقوق الجار، والتعاون وغيرها، كما كان للمعاملات المالية حظ وافر من الدراسة، خاصة التي كانت لها صلة بتوجهات الجزائر الاشتراكية مثل: التأمين، الضمان، الشركة والعمل بالأسهم وغيرها، وتناول علم الفرائض المسائل الفقهية التي كانت تستجد على المجتمع الجزائري ليتم دراستها، أما الأصول الفقهية فخصت الترجيح والاجتهاد والقياس بالدراسة المستفيضة، أما التوحيد فانطلق من علم الكلام، والصفات والإلهيات ليصل إلى دراسة النحل المعاصرة كالروز والقاديانية والزيدية وغيرها¹.

فالمواد الشرعية تسمح للطلاب بتعلم القواعد الأساسية لكل مادة تدريجياً خلال مرحلة الإعدادية، ومع التعليم الثانوي يبدأ الطالب باكتساب معرفة أكبر، وتعطى فيه مساحة واسعة للتطبيق بمناقشة المسائل الفقهية المختلفة.

قيل عن الخطاب الذي يسعى التعليم الأصلي لنشره في الجزائر خطاب تقليدي رجعي متخلف، إذا كان يراد تقديم المعرفة الدينية أن تقدم في أشكال وقوالب وطرق معاصرة حديثة، فهذا مقبول وممكن جداً بل هو روح الإسلام المتجددة، أما رفض تقديم المعرفة الإسلامية جملة وتفصيلاً، فهذه هي الرجعية الحققة، فألمانيا التي حققت تنمية اجتماعية وعلمية واقتصادية حققتها بفضل

¹ أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية A 179، منهاج المواد الشرعية للمرحلة الثانوية، ص 1، 2،

إعطاء الدين مكانة في المجتمع بفتح مدارس موازية للمسيحية، وحتى إسرائيل التي تعلن أنها تتبنى العلمانية، فهي في حقيقة الأمر تُقدم على الدين، بل حتى نشأتها كانت على أساس ديني، وتعطي أولوية للتعليم الديني لما له من مكانة في ترسيخ هويتها المزعومة.

إن التعليم الأصلي رسم حدوداً واضحة المعالم للهوية الإسلامية؛ لأنها تتعرض للنواحي الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الجزائري انطلاقاً من القرآن الكريم والأحاديث النبوية بما يعالج نواحي النقص فيه، مع مراعاة التنوع ومطابقة العصر، بأخلاق تسمح بالاندماج والتكيف بسلوكات إنسانية حضارية في الإطار العربي والعالمي استناداً لعظمة الإسلام في أي زمان ومكان الداعي للعلم والعمل.

رابعاً: التخطيط اللغوي

كانت معاهد التعليم الأصلي المتوسطة والثانوية امتداد وظيفي للمدرسة الجزائرية، ففيها تأكيد الهوية اللغوية للجزائر، فيتوسع نشاطها من حيث تنظيم خبرات وعمليات اجتماعية وثقافية وعقلية تقوم أساساً بوظيفة مجتمعية هامة غائبة في برامج التعليم العام، فأخذت هذه المعاهد تتقدم وتتطور في أداء مهامها التربوية والتوعوية؛ لأنها ربطت بين الهوية ولغة التعليم باعتبار اللغة مسؤولة عن بناء أو هدم مجتمعات فكرية واجتماعياً.

فاللغة أوضح أنماط السلوك الاتصالي، فهي أداة كاملة للتعبير، تتميز بالقدرة على تحديد المضامين الاجتماعية، ومنها العلمية، وكل الخبرات التي اكتسبها المجتمع في تاريخه، وبسبب أهميتها البالغة في المجتمعات الإنسانية قاطبة؛ ولأن التخطيط عنوان أي عمل ناجح، كان ضرورة من مستلزمات الأعمال اللغوية في المستوى القومي، لا شك أن العربية هي اللغة الرسمية في

بلادنا، لكنها مفقودة في الدرس العلمي، لذلك اكتسب التخطيط أهمية خاصة؛ لأن المجتمع الجزائري كان يواجه مشكلة تتعلق باللغة.

تولي الأمم عناية فائقة بألسنتها وتدافع عنها بضراوة وهذا متصل بأمرين ظهرا في العصر الحديث؛ ألا وهما السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، وقد سبق ظهورهما في الدراسات اللغوية التطبيقية إجراؤهما على يد الدول الاستعمارية بأن فرضت لغاتها على الشعوب المستعمرة في آسيا وإفريقيا وأمريكا، وكان ذلك بمثابة سياسة وتخطيط لغويين هدفهما نشر لغة المستعمر وثقافته لضمان تبعية المستعمرات على الصعيد اللغوي والثقافي والتعليمي والاقتصادي للمستعمر حتى بعد رحيله، وقد مارست هذه الدول الاستعمارية ضغوطاً على الشعوب المتحررة لكي تتخذ لغتها لغة رسمية في دولها بعد نيلها الاستقلال¹.

وعلى نحو مفارق أخذ استعمال الفرنسية يتعاظم بعد الاستقلال، فالجهود التي بذلتها الدولة الجزائرية الفتية في مجال التمدريس تفسر دون شك انتشار اللغة الفرنسية، وقد سخر للجزائريين العديد من الحاملين للشهادات أو المعلمين والمتعاونين الأجانب وكان جلهم تتقنوا بالفرنسية، كان لهم أثر واضح في قيام الازدواجية اللغوية إما بالقوة أو بالفعل في النظام التربوي والمجتمع بعامته².

والمقصود بالسياسة اللغوية أنها مجموعة من الاختيارات الواعية والمواقف الرسمية التي تتخذها الدول والحكومات في شأن العلاقة بين لسان ما أو السنة ما والحياة الاجتماعية أو الوطنية، فهي عبارة عن تعامل أجهزة الدولة

¹ ولي الله كندو، السياسة اللغوية لدى الأمم الحية، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، المملكة العربية السعودية، العدد 01، أكتوبر 2015، ص 105.

² خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2013، ص 32.

مع اللسان أو الألسنة المستعملة داخل كيانها، وهي مواقف تكون إما إهمالاً ظاهره خطب وقرارات لا تزيد عن تنميقها أو تجبيرها على الورق أو تكون رعاية تُدعم بسن القوانين التي تحرص على تنفيذها أو بتمويل البرامج.

وقد بين بعض الدارسين أنه على كل سياسة لغوية أن تكون قادرة على عرض الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها مثل إيجاد التفاهم أو دعمه، ومثال ذلك ما يُتخذ من مواقف بين العربية الفصحى المستعملة في التعليم والعاميات المختلفة في البلدان العربية. أما التخطيط اللغوي فهو مصطلح يفيد البحث عن الوسائل اللازمة لتطبيق سياسة لغوية ما، فهو يخص وضع اللسان ووظائفه في الحياة الإدارية والتربوية وفي المعاملات، كما يخص إعداد المدونات والدراسات والمعطيات التي تخص اللسان المقصود¹.

ولعل أبسط تعريف للسياسة اللغوية هو أنه قرار تتخذه أمة أو مؤسسة ما للتعامل مع اللغة أو اللغات التي يستعملها شعب أو مجتمع ما، مثل اتخاذ اللغة العربية الفصحى أداة التعليم والإدارة والتواصل الرسمي بين أفراد المجتمع، أما التخطيط فهو العمل تنفيذ السياسة اللغوية ووضع الخطط اللازمة لذلك بناءً على المعطيات اللغوية والمجتمعية والاقتصادية والسياسية، ومن ثم تنفيذ تلك الخطط؛ لتحقيق السياسة، مثل التعليم الإلزامي باللغة القومية واستخدامها أداة للتواصل في شتى جوانب المعرفة والحياة، وتنمية اللغة وتوفير المراجع اللازمة لتواكب احتياجات الناطقين بها.

ولكن لا بد لنا من التنويه من أن القضيتين لا تسيران بالضرورة بالتتابع بالصورة التي ذكرنا، فقد تكون السياسة نتيجة للتخطيط المدروس لكي تكفل نجاحها، وعند اتخاذ السياسة يستمر التخطيط اللازم لتنفيذ تلك السياسة في

¹ ولي الله كندو، المرجع نفسه، ص105.

الواقع العملي والحياة اليومية، ويقدر جودة التخطيط والتنفيذ السليم للخطة يكون نجاح السياسة اللغوية، ولكي نضرب مثالا عملياً من واقع العالم العربي ننظر إلى قضية تعريب التعليم العلمي والتقني في البلاد العربية وفي مؤسساتها التعليمية العليا الخاصة، فلا أظن أن هناك دولة عربية لا تزعم أن سياستها هي جعل اللغة العربية لغة العلم والمعرفة والتقنية، ويرى المتخصصون في الميدان أن السبب يرجع إلى غياب السياسة الصادقة من جهة وإلى غياب التخطيط اللغوي السليم من جهة أخرى¹.

بدأ التفكير في التخطيط اللغوي للعربية لمعاهد التعليم الأصلي منذ الاستقلال، نتيجة انطلاق أغلبية أقسام التعليم بوزارة التربية الوطنية باللغة الفرنسية، رغم أن الدولة الجزائرية المستقلة أعلنت أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، لكن الواقع كان غير ذلك، ومع انطلاق عملية التعريب والتي كانت أغلب نقاشاتها نظرية بعيدة عن الميدان، مثل: اللجنة الوطنية للتعريب، وسنة التعريب، والدعوة لإنشاء مجامع اللغة العربية لصيانة اللغة والحفاظ عليها، هو تخطيط بامتياز؛ لكن لا يكفي أن تقدم حلولاً وألفاظاً ومصطلحات ونظريات دون أن تتصل بالواقع التطبيقي، فما هي السياسة اللغوية التي اتبعتها التعليم الأصلي؟

تعتبر اللغة الأداة الفعالة في تحريك باطن الإنسية للتعبير عن مجدها وخلقها، بل سمفونية خاصة بها تقوم الإنسية، فليست اللغة حقل دلالي متنوع فحسب، بل هي بمثابة الروح للجسم، فالجسم حتما لا قيمة له يتلاشى يزول ويفنى، بينما الروح معنى أبدي، لذلك تعتبر اللغة روح الأمة، فزاول اللغة يعني

¹ محمود إسماعيل صالح، الافتتاحية، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، المملكة العربية السعودية، العدد 01، أكتوبر 2015، ص 6.

زوال الأمة، وتجد اللغة العربية طريقها نحو الازدهار حين تتمثل العلم في أعقد صوره وحين يحملها العالم المثقف الذي يعيش التنوير بكل أبعاده وخصوصياته، ويرى مولود قاسم ضرورة تعريب الأمخاخ والقلوب، وخاصة أولئك الذين تولوا مناصب عليا في الإدارة¹

إن استعمال العامية واللغة الفرنسية في الدوائر الحكومية وفي وسائل الإعلام، دفع وزارة التعليم الأصلي إلى وضع سياسة لغوية مؤقتة بوضع برنامج لتعميم استعمال اللغة العربية في هاتين المؤسستين، وذلك بتنظيم دروس للغة العربية لمن لا يعرفها من الوزراء والموظفين، كما وضع برنامجاً للتلفزة والإذاعة تمثل فيما يلي:

- 1- تغليب الفصحى على العامية في نشرات الأخبار وغيرها من حصصها الكلامية، وتغليب هذه الحصص الكلامية على الغنائية.
- 2- إذاعة مسرحيات بالفصحى.
- 3- قراءة كتب ومحاضرات كل يوم بضع صفحات وفي حلقات متسلسلة حتى آخر الكتاب، كما تفعل الكثير من الإذاعات الأوروبية.
- 4- تنظيم دروس بالعربية بمساعدة التلفزة².

¹ عيش عموري، المقومات الأساسية في بناء الإثنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم (1927-1992م)، أعمال ملتقى سؤال الهوية والإثنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2010، ص386

² زهراء عاشور، الهوية اللغوية بين ساطع الحصري ومولود قاسم نايت بلقاسم، أعمال ملتقى الوطني الأول حول سؤال الهوية والإثنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2010، ص 218.

أما من ناحية الممارسة فنجد أن استعمال اللغة العربية الفصحى في التخاطب، ضرورة إقصاء اللهجة العامية من التعليم، والذي كان يعول فيه كثيراً على الأساتذة للعمل به، فقد نصت التعليمات الموجهة لأساتذة التعليم الأصلي على ضرورة إقصاء العامية حتى من التخاطب اليومي العادي بين حضرات الأساتذة فيما بينهم، وفيما بينهم والطلبة، وكذلك بين الطلبة أنفسهم.

وفيما يخص الأمر بين الطلبة، فهناك نظام معروف يسمى بـ"الخشبية" « وهي أية علامة صغيرة من خشب، أو من أي معدن، يعطيها السيد المدير لأول طالب يسمعه في بداية الأسبوع يتكلم بالعامية، وعلى التلميذ أن يتخلص منها بإعطائها أي زميل له يشاهده متكلماً بالعامية، وهكذا والذي تبقى عنده آخر الأسبوع، يعاقب من السيد المدير، بعد أن يتسلمها منه، بتأخيره في الخروج عن زملائه ساعة، موجهاً وجهه نحو السبورة واقفاً، ومديراً ظهره للقاعة، ويكون هذا بعلم الجميع، إذ يعلق ذلك جهازاً، ويعلق مع الملصقات الإدارية ومجلة الطلبة مثلاً، بحيث يرى من الجميع، وفي بداية الأسبوع يتصيد المدير أو أحد مساعديه أول تلميذ أو تلميذة بصدد الكلام بالعامية، ويتصرف بنفس الطريقة، كما في الأسبوع الماضي، وهكذا حتى آخر السنة، والطالب الذي يعاقب أكثر من ثلاث مرات في السنة يسجل في ملفه عقابه هذا ويحرم من أية مكافأة أو جائزة، ويندرج معه في العقاب، أما الأساتذة فكان يرحي منهم العمل بهذا فيما بينهم؛ ولكن يعاقب الأستاذ الذي يستعمل العامية في دروسه بخصم يومين، من مرتبه في المرة الأولى، وخمسة أيام في المرة الثانية، وكل

مرة إضافية بخمسة أيام، ولا يجدد عقده في آخر السنة¹، للتدريس مرة أخرى بمؤسسات التعليم الأصلي».

« وقد قرر ابتداء من سنة 1973م تاريخ إصدار هذا المنشور أنه لن تكون لغة التخاطب بين المدير والأساتذة، والأساتذة والتلاميذ، والتلاميذ فيما بينهم، هي العربية الفصحى في شتى الأغراض، في التدريس، وفي التخاطب داخل القسم، أو في عرض الطريق، أو المطبخ، إلخ...، فاستعمال الفصحى بصورة مستمرة من غير انقطاع حتى تغدو سليقة وسجية لدى الجميع، كما ينبغي أن تسد الأخطاء التي يقع فيها التلاميذ عادة، وإرشادهم إلى مواطن الضعف، وكيفية تلافيه، ذلك أن فصاحة اللسان تنشأ عن كثرة المران، فلا مندوحة إذن من استعمال الفصحى لتقويم النطق»².

فسياسة التخطيط اللغوي للتعليم الأصلي أرادت أن يكون التعليم نافعا، يجعل الأستاذ لتلاميذه يدركون أن اللغة العربية الفصحى ليست غريبة عنهم وليست صعبة المنال، وأن يكون التعليم تطبيقا أكثر منه نظريا فيفرغ الأستاذ وقتا للمحادثة والمحاورة بالفصحى في موضوع حي له علاقة ماسة بحياة الشبان، ويجب أن يفرض على التلاميذ التحدث بالعربية والإجابة على الأسئلة بها، كما يجب أن يكون الدرس بالفصحى واجبا وجوبا مؤكدا لا حياد عنه من أول يوم يدخل فيه التلميذ إلى المعهد، وذلك شرط أساسي لتحسين التعليم العربي، ويجب أن يكون لدى كل تلميذ كراسة أو دفتر لتسجيل العبارات المنقحة والألفاظ الاصطلاحية والعصرية ويُسألون عنها من حين لآخر بتكليفهم

¹ أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العتبة A 94، منشور تعميم اللغة العربية الفصحى في التخاطب، المرجع/6144/93/م73/ج.ع، 03-10-1973، ص1.

² المصدر نفسه، ص2.

بتركيب جمل مفيدة يدخلون فيها تلك العبارات والألفاظ التي سجلوها على دفاترهم الخاصة حتى ترسخ في أذهانهم.

كما على الأستاذ أن « يسعى الأستاذ لتكوين حب التنافس بين التلاميذ؛ حتى يكون الدرس حيا وفي تحبيب التحدث باللغة العربية بشتى الوسائل كشكر المجتهدين والتتويه بهم وجعلهم يدركون شيئا فشيئا جمالها وبلاغتها، إن دور الأستاذ يكون في الغالب توجيهيا وتقويما ينبغي أن يبني تعليمه على الفهم والتفهم مع الإستساغة، وأن يتدرج مع تلاميذه في التفكير مع مراعاة سنهم وأن يتجنب ما لا يستطيعون فهمه وأن لا يجعلهم يستظهرون شيئا لا يفهمونه أو قبل شرحه»¹.

الخاتمة

حقيقة إن التعليم الأصلي تجربة لم يعطى لها الوقت اللازم لتحقيق النتائج للأهداف المسطرة، فبمجرد ظهور بوادر وعلامات نجاحه، وإقبال شعبي عليه بناءً على نوعية التدريس، توقع خصوم التعريب المتفوقين في الإدارة نسبة نجاحه وتفوقه في حال الاستمرارية؛ مما يعني تهديداً لوجودهم ومكانتهم ونفوذهم، وبالتالي قطع الطريق عليه، فتم في سنة 1977م إلغاء التعليم الأصلي بتوحيده مع وزارة التربية الوطنية.

والتعليم الأصلي في رسمه لمعالم الهوية في الجزائر يتوافق مع طرح مالك بن نبي لها، الذي كان يطرح المشكلة بمفاهيم الثقافة والفعالية، حين يؤكد على أنه ليس المطلوب أن نعلم المسلم عقيدة هو يمتلكها ولكن المطلوب أن نعيد لهذه العقيدة فاعليتها في حياته، فالتعليم الأصلي كان يسعى إلى تخريج طلبة يجمعون بين الأصالة والمعاصرة، من خلال بناء

¹ أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية A 114، منهاج المواد لوزارة الأوقاف لسنة 1967-1968م.

منهج جديد في التفكير وأساليب الفهم، لاتخاذ موقف علمي من الوجود المحيط للمساهمة في إثراء المعرفة الإنسانية، بإبراز التناسق في الإسلام على ضوء الكتاب والسنة وبين ما تتوصل إليه البشرية في ميادين العلم والمعرفة، كما أن الانفتاح على خبرات الآخرين هو أحد أهم الخطوط العريضة التي كان يسعى التعليم الأصلي لتحقيقها، فالانفتاح على التيارات الحديثة في ميادين العلم والاجتماع والثقافة وغير ذلك، مع مراعاة الوعي والموضوعية مهما خالفنا مصدر هذه التيارات الفكرية أو الثقافية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

أ- الأرشيف:

- 1- أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية 94A: منشور تعميم اللغة العربية الفصحى في التخاطب، المرجع/93/6144هـ/73م/ح.ع، 03-10-1973.
- 2- أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية 114A، منهاج المواد لوزارة الأوقاف لسنة 1967-1968م.
- 3- أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية A 120، المنهاج الدراسي للمرحلة الإعدادية للمواد الشرعية، 1971/1972م.
- 4- أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية A 179، منهاج المواد الشرعية للمرحلة الثانوية.
- 5- أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية 255A، تقرير عن أسباب إنشاء المعاهد الإسلامية.
- 6- أرشيف وزارة الشؤون الدينية، العلية A 266، معلومات عامة عن التعليم الديني، 2 ديسمبر 1967.

ب- الكتب:

- 1- الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة- مصر، 2004.
- 2- الزمخشري القاسم محمد بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى 1998، الجزء الأول.
- 3- ابن منظور محمد، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة - مصر، 1981.

المراجع:

- 1- إبراهيمي خولة طالب، الجزائريون والمسألة اللغوية، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، الطبعة الثانية 2013.
- 2- بودريوع صبرينة، الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي بالجزائر المرحلة البومدينية نموذجاً (1965-1978م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري- قسنطينة، 2010-2011.
- 3- بلعيد صالح، في الهوية الوطنية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 4- جبهة التحرير الوطني، ميثاق الجزائر 1976م.
- 5- الجريدة الرسمية، أمر رقم: 70-53 مؤرخ في 18 جمادى الأول عام 1390 الموافق 21 يوليو (جويلية) 1970، يتضمن تأسيس الحكومة، العدد 63، السنة السابعة.
- 6- كندو ولي الله، السياسة اللغوية لدى الأمم الحية، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، العدد 01، المملكة العربية السعودية، أكتوبر 2015.
- 7- لعموري عليش، المقومات الأساسية في بناء الإنينة عند مولود قاسم نايت بلقاسم (1927-1992م)، أعمال ملتقى سؤال الهوية والإنينة عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2010.
- 8- بن لعلام محمد الصغير، التعليم الأصلي والمؤسسات الدينية وترقيتهما، أعمال الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، ج1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2005، الجزء الأول.
- 9- بن لعلام محمد الصغير، انطباعات من وحي الصداقة والعمل، أعمال الملتقى الوطني الأول حول سؤال الهوية والإنينة عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2010.
- 10- ميكشيللي أليكسيس، الهوية، ترجمة: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 1993.
- 11- نايت بلقاسم مولود قاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة: العدد 17-18 خاص بالتعريب، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973-1974.
- 12- نايت بلقاسم مولود قاسم، أصالتنا تعني لا إغلاق الأبواب والنوافذ ولا إزالة السقوف والرفوف، مجلة الأصالة، العدد 04، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، أكتوبر 1971.
- 13- بن نعمان أحمد، مولود قاسم نايت بلقاسم، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2016.
- 14- صالح محمود إسماعيل، الافتتاحية، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، العدد 01، المملكة العربية السعودية، أكتوبر 2015.

- 15- الصمدي خالد ، حلي عبد الرحمان، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق -سوريا، الطبعة الأولى 2007.
- 16- عاشور زهراء، الهوية اللغوية بين ساطع الحصري ومولود قاسم نايت بلقاسم، أعمال ملتقى الوطني الأول حول "سؤال الهوية والإثنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة ، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2010.
- 17- الفاسي علال، نهضة التعليم الأصلي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد7، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1972 .
- 18- سعود الطاهر، الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي - الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الأولى 2012.
- 19- شراد محمد العلمي، النظام التعليمي وثوابت الهوية الوطنية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم اجتماع التربية، إشراف: الجمعي نوي، جامعة سطيف 2، 2014-2015.
- 20- شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011.
- 21- تاحي اسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظراته للهوية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري - قسنطينة، 2007/2006.
- 22- تاغلايت حورية، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفقه وأصوله، إشراف سعيد فكرة، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2007 - 2008.
- 23- بن تمسك مصطفى، أصول الهوية الحديثة وعللها (مقاربة شارلز تايلور نموذجاً)، دار جداول للنشر والتوزيع والترجمة، لبنان، الطبعة الأولى، 2014.